مبادارات الموفقين

مبادرة الفرص، صفة حميدة، وخصلة جميلة، يصطفي الله لها من شاء من عباده؛ من هدي إليها فقد نال من التوفيق بحظ وافر، والكتاب والسُّنَّة وكتب السير مترعةٌ بمبادرات الموفقين.

وإن من دقيق المبادرات الموفقة أن تحسن قراءة احتياج الآخرين دون أن يتفوهوا بكلمة، فتبادرَ لهم بالخير دون أن ينادوك، وتقضيَ حاجاتهم دون أن يأمروك، وهذه لا يوفق لها إلا العظماء الأعيان، ولا يفطُن لها إلا كبار الهمة، فِخَامُ الشأن، فليس كل أحد ينالها، وليس كل مبتغ يطالها.

فتأمل في مبادرة موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين؛ كيف بادر في سقي الماء للمرأتين دون أن يطلبا منه ذلك؟ ولم يتكل على الناس، مع أن الله وصفهم بأنهم أمة من الناس يسقون، ومع ذلك يسقون لأنفسهم دوماً ويذهبون، دون أن يلتفتوا لهاتين المرأتين، وموسى عليه السلام لأول مرة يرد الماء؛ ومع ذلك انتبه وفطَن، وهكذا العظماء، لمَّاحون مبادرون، يهتبلون فرص الخير ولا يفوتون.

وتأمل ـ أيها القارئ الكريم ـ في قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الجوع؛ إذ يقول: «لقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون

منه، فمر أبو بكر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله؛ ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي، وما في وجهي، ثم قال: «**يا أبا هر**». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «**الحقْ**»، قال: فتبعته، فدخل فوجد لبناً في قدح، فذكر قصته في سقاية النبي ﷺ له حتى روي، والنبي ﷺ لا يزال يقول له: «**اشرب، اشرب**» حتى قال أبو هريرة: «والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً»[(١)].

ومن ذلك ما فعله جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما حُفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً»، ثم صنع طعاماً، فدعا رسولَ الله ﷺ، فدعا الرسولُ ﷺ أهل الخندق كلهم، وعددهم ألف، فأكلوا حتى شبعوا[(٢)].

ومثله عمل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه حين رأى الرسول ﷺ في المسجد، فجاء مسارعاً إلى زوجه أم سليم يقول لها: «لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فقام باستضافة

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).

الرسول ﷺ وأصحابه، فأكلوا حتى شبعوا»[١].

فهنيئاً لجابر وأبي طلحة قراءتُهما الصحيحةُ لحال النبي ﷺ ثم مبادرتُهما بصنع الطعام له؛ ما أسعدهما بالفوز! يطعمان سيد الخلق وأصحابه على حاجة؛ تالله إن هذا لهو الفوز المبين.

وإن من المبادرات المحمودة في بر الوالدين ذكاء الولد، فيحسن قراءة حال والديه، فيبادر بتلبية رغباتهم دون أن يطلبوها، ويقضي حاجاتهم دون أن يقولوها، وما أجمل هذا الابن المبادر!

وإن من توفيق الله للمرء في أسرته أن يحمل همَّ أسرته، فيبادر فيكون سبباً في اجتماعها، ولمِّ شملها، وإشاعة روح المودة والألفة بين أقاربه، وإذا رأى بوادر فرقة بين أختين أو أخوين، لم يمهل حتى يتسع الشقاق، ويحصل الفراق؛ بل كان سيد الموقف؛ يبادر بالإصلاح؛ ويتحمل في ذلك التبعات، فلِلَّه در هذا المبادر؛ لقد أخذ بأخلاق الأكابر.

ومن المبادرات الموفقة أن ترى مسلماً مهموماً محزوناً، فتبادر إلى إسعاده، وإضحاكه، دون أن يطلب ذلك منك، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استأذن، فدخل على النبي ﷺ فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه، واجماً ساكتاً، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

«لأقولن شيئاً أُضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة، سألتني النفقة، فقمت إليها، فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ»[١].

قال النووي: «فيه استحباب مثل هذا، وأن الإنسان إذا رأى صاحبه مهموماً حزيناً يستحب له أن يحدثه بما يضحكه، أو يشغله ويطيب نفسه»[٢].

وإن من التوفيق في المبادرة أنك إذا سمعت فائدة في إذاعة، أو كلمة طيبة في خطبة، أو قصة مفيدة في مجلس، أن تبادر لنشرها، فيكون لك بذلك أجر من انتفع بها، ولا تتراخَ بحجة أن من سمعها كثير، فسيبلغونها الناس، فقد تتفاجأ أنه لم ينقلها أحد، وهذا دليلٌ عجيبٌ في ذلك:

حدَّث التابعي علقمة بن وقاص الليثي العتواري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فذكر أنه سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو على المنبر، يخطب بحديث النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٣].

والعجيب هو أنه لا يعرف راو نشر الحديث في الناس غيرُ علقمة، مع أن الحديث عظيم الشأن؛ إذ هو أحد قواعد الإسلام العظام، وقد سمعه من عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الجمُّ الغفير، والفئام

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٨).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/ ٨١).
(٣) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

الكثير؛ إذ بلَّغه عمر، وهو على المنبر، ومع ذلك لا يعرف له ناقل غير علقمة، فيالله كم لعلقمة من الأجر بسبب نشره لهذا الحديث.

ومن المبادرات الموفقة اغتنام الفرص النادرة، كمجالس العظماء، بكلمة طيبة تنفعك وتنفع من وراءك، ومن أعظم تلك المبادرات، مبادرة أبي جعفر الباقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذنَ جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ له بالسؤال، فسأله عن حجة النبي ﷺ[1]، فكان سبباً مباركاً في نشر صفة حجة النبي ﷺ بهذا السرد العظيم، الذي لا يوجد له نظيرٌ في السُّنَّة، وكان قد أدرك جابراً في آخر حياته؛ فلِلَّه كم لأبي جعفر من الأجر بسبب هذا الحديث.

وإذا نظرت في سبب تأليف بعض الكتب العظيمة وجدت أن السبب الأكبر إنما هو مبادرة سائل، ومنها على سبيل المثال: «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، و«التدمرية»، و«الحموية»، و«الواسطية»، و«نخبة الفكر»، وغيرها؛ وهذا من بركة الله لعبده أن يبارك له في كلامه، فيكون سبباً في خير عظيم.

وبعد فهذا غيض من فيض من الأمثلة في مبادرات الموفقين، وإلا فسُبُل مبادرات الموفَّقين ومجالاتها كثيرة ومتنوعة، يفتح الله بها على من يشاء من عباده، فاللَّهُمَّ أعطنا ولا تحرمنا.

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).